المشهد الخامس

بيت حاكم دمشق وقد اتخذه المسلمون مقراً للحكم . خالد بن الوليد وعنده يونس .

يونس : يا سيدي الأمير إنني خائفٌ .

خالد : من أي شيء ، ويْلك ؟

يونس : ألاَّ تُدركُوا القومَ .

خالد : إنـــك لا تعرف خيولَ العرب يا يونُس ، فكيف وقد أرْحنَاها وأحْسَنَّا علفَهـا منذُ يوم الفتح ؟

يونس : أعددْتَّ لذلك منذ يوم الفتح ؟

خالد : أجل .. ستراها كيف تنطلق كالبرق .

يونس : لكن متى تخرجون أيها الأمير ؟ هذا اليوم الثالث منذ خرجوا .

خالد : إني في انتظار الرائد الذي أرسلناه .

يونس : ضرار ؟

خالد : بل رافع بن عميرة .

يونس : ذاك الذي يعدو على قدميه فيسبق الخيل؟

خالد : نعم .

يونس : (يتأوه) آه إني أخافُ على يودوقيا يا سيدي الأمير .

خالد : يودوقيا .. يودوقيا .. ما أنت ويودوقيـا بعدما هجَرْتك وتركتْك ؟

يونس : يا سيدي إنها قد ندمت على ما فعلت، وأرادتْ أن تعود إليّ ، ولكن أباها قيدها وحبسها ، ثم خرج بها من دمشق يوم الخروج مكتّفة مكمُومةَ الفم داخل هَوْدج ، حتى لا تَصيح

المشهد الخامس

بيت حاكم دمشق وقد اتخذه المسلمون مقراً للحكم . خالد بن الوليد وعنده يونس .

يونس : يا سيدي الأمير إنني خائفٌ .

خالد : من أي شيء ، ويْلك ؟

يونس : ألاَّ تُدركُوا القومَ .

خالد : إنـــك لا تعرف خيولَ العرب يا يونُس ، فكيف وقد أرْحنَاها وأحْسَنَّا علفَهـا منذُ يوم الفتح ؟

يونس : أعدَدْتَّ لذلك منذ يوم الفتح ؟

خالد : أجل .. ستراها كيف تنطلق كالبرق .

يونس : لكن متى تخرجون أيها الأمير ؟ هذا اليوم الثالث منذ خرجوا .

خالد : إني في انتظار الرائد الذي أرسلناه .

يونس : ضرار ؟

خالد : بل رافع بن عميرة .

يونس : ذاك الذي يعدو على قدميه فيسبق الخيل؟

خالد : نعم .

يونس : (يتأوه) آه إني أخافُ على يودوقيا يا سيدي الأمير .

خالد : يودوقيا .. يودوقيا .. ما أنت ويودوقيا بعدما هجَرْتك وتركتْك ؟

يونس : يا سيدي إنها قد ندمت على ما فعلت، وأرادتْ أن تعود إليّ ، ولكن أباها قيدها وحبسها ، ثم خرج بها من دمشق يوم الخروج مكتّفة مكمُومةَ الفم داخل هَوْدج ، حتى لا تَصيح

فتستَغيث بكم .

خالد : ومن أين علمت ذلك ؟

يونس : من كثيرٍ من جيرانها ومعارفها . إنه يعذبُها عذاباً شديداً يا سيدي الأمير .

(يدخل رافعُ بن عميرة الطائي ولا يكاد يُرَى وجهُه من غبار الطريق)

خالد : (في طَرَب) رافع !

رافع : أبشر يا أبا سليمان ، فإني وجدتهم قد تركُوا طريقَ حمص وساروا في طريق الجبل يقصِدون أرضَ الروم .

خالد : الحمد لله . لقد كنتُ أخشى أن يلجأُوا إلى حمص .

رافع : لا أدري ما منعهم من ذلك .

خالد : منعهم أن الأسلحةَ ستكون لنا يا رافعُ . وأين تركتَهم ؟

رافع : على بضعة أميالٍ من حمص .

خالد : ومتى تركتهم ؟

رافع : البارحةَ بعد مُنتصف الليل .

خالد : لندركنّهم بإذن الله إن سرَيْنا الليلة بعد العِشاء . اذهب فآذِنْ رجالنا بذلك ، وخُذْ يونس معك فاختَرْ له جواداً حسناً وأعْطِه ما شاء من سلاح .

(يخرج رافع ويونس)

أم تميم : (تدخل ومعها أم أبان في ثيابِ الحداد) هذه أم أَبان يا خالد تريد أن تشتَرِك معنا في السِّرِيَّة .

أم أبان : أجل يا أبا سليمان ، أريد أن أنتقِم من توماس فهو قاتِلُ زوجي .

خالد : أخوك أبو هاشم بن عتبة سيكونُ معنا ، فهو يَكْفِيك هذا العِلْجَ .

أم أبان : كلا يا أبا سليمان . إني آليتُ لأرمينّه بسهمي في كبده .

خالد : تُحْسِنِين الركوب يا أم أبان ؟

أم أبان : وأحسنُ الرمي بالنبل .

أم تميم : عندها المرنان، جواد كان لزوجها لا يسبقه سابقٌ .

خالد : رأيتِه يا أم تميم ؟

أم تميم : نعيم .

خالد : أيكون أجودَ من الأشقر ؟

أم تميم : الأشقرُ يا خالد ليس له نَدِيد . الأشقر في الخيل كخالد في الرجال !

خالد : (ينظر إليها مَليّاً كالمعْجب ، ثم يلتفت إلى أم أبان)

تَهيّئِي أم أبان مع أم تميم و خَوْلة بنت الأزور .

(يدخل غلام خالد)

الغلامُ : أبو عبيدة يا سيدي .

خالد : ويْلَك دعْه يدخل . (تنسحب أم تميم وأم أبان إلى الداخل)

(يدخل أبو عبيدة ومعه معاذ بن جبل)

مرحَباً بأبي عبيدة .. مرحباً بمُعاذ بن جبل.

أبو عبيدة : انتظرناك لتُصلي بالناس العصر يا أبا سليمان، فلم تحضر .

خالد : يا أبا عبيدة، أمِثْلي يتقدم عليك في الصلاة ؟ لا والله لا يكونُ ذلك أبداً .

أبو عبيدة : أنت أميرُنا يا خالد .

خالد : أنا أميركم في القِتَال لا في الصلاة .

معاذ : يا أبا سليمان هذه سنةُ رسول الله ﷺ .

خالد : صلى الله عليه وسلم . إذن فقد أنبتكما عني، أيكما يحضر فليُصلّ بالناس .

أبو عبيدة : بلغني يا خالد أنك ستَسْري الليلة في أثر القوم.

خالد : نعم .. قد مضت ثلاثةُ أيام منذ خروجهم .

أبو عبيدة : ما أحسَبُهم إلا قد بلغوا حِمْص .

خالد : لكنهم لم يدخلوا حمص، بل ساروا في طريق الجبال يقصِدون أرض الروم .

أبو عبيدة : إذن فقد أبعدهم الله عنا فعلامَ تطارِدُهم ؟

خالد : الشرط أملكُ يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : فأين البرُّ يا خالد وأين التكرُّم ؟ سيقولون غداً إن المسلمين يغدِرون .

خالد : (يعلو صوته) الله يعلم أننا لا نغدِر ، وإلا لما انتظرْنا ثلاثة أيام كامِلَة .

أبو عبيدة : ما أحسب تلكَ الأسلحةَ التي خرجُوا بها تستَحِق منا كل هذه المشقة .

خالد : الأسلحةُ ليست هي الغاية .

أبو عبيدة : فما الغايةُ إذن ؟

خالد : أن نُروِّع هرقل حتى يبرحَ حمص وَشيكاً ، حين يَبلُغُه أن خيولَنا قد جاوَزَت حمص

وتوغّلت في أرض الروم .

أبو عبيدة : هذا حسنٌ يا أبا سليمان ، ولكنا أمِرنا ألا نقدِم المسلمين إلى هَلَكة رجاءَ غَنيمة ، ولا نُنزلهم منزلاً قبل أن نستريدَه لهم ونعلَمَ كيف مَأْتاه ، ولا نبعثَ سريةً إلا في كَتَفٍ من الناس .

خالد : من ذا أمرنا بذلك ؟

أبو عبيدة : (بعد تردّد يسير) الخليفة .

خالد : يرحمك الله يا أبا عبيدة . نحن أعلمُ بحرب هذه البلاد من الخليفة ، والشاهِدُ يرى ما لا يرى الغائب . وقد استَردْنا المكان وعرفنا كيف مَأْتاه ، فطِبْ نفساً فلن أُلقِي المسلمين في هَلَكة إن شاء الله .

أبو عبيدة : إذن فأنشدك الله يا خالد إن لحقتم القوم ألا تُقاتلوهم حتى تُنذِروهم بأن يُلْقُوا إليكم الأسلحةَ ، فإن ألقَوْها فلا سبيلَ لكم عليهم.

خالد : ما أحسب ذلك في كتابِ الصلح .

أبو عبيدة : بلى كان ذلك في صُدُورِنا حين كتبْنا الكتاب وأمضيْناه ، والله عليمٌ بذات الصدور .

خالد : (ينظر إليه كالمعجب بما سمع) وترْضى عني بعد ذلك يا صاحبَ رسول الله ؟

أبو عبيدة : نعم ، وأسألُ الله أن يرْضى عنك .

المشهد السادس

في واد نزه عجيب المنظر بين الجبال يسمى مرج الديباج على عشرة أميال من المصيصة حيث طاب للقوم النزول فيه للراحة والاستجمام ، فطلع عليهم خالد قبيل طلوع الفجر وهم نيام بعد .

خالد : (يُسمع صوته مُدوياً) الله أكبر ! الله أكبر !

المسلمون : (يرددون التكبيرة) الله أكبر ! الله أكبر ! (يُراعُ القومُ فيهبُّون من نومهم في رُعْبٍ واضْطِرَاب ، لا يدرون ماذا يصنعون)

يونس : (يسمع صوته) أيها القوم . هذا خالدُ بن الوليد قد جاءكم بنفسه يأمرُكم بإلقاء الأسلحةِ

التي حملتموها من دمشق. فإن أطعتُم تركَكُم تمضُون في سبيلكم لا يمسّكم بسوء، وإلا فسَينقَضُ عليكم ويُمزقكم كل ممزق.

يودوقيا : (تهمِسُ لأمها الواقفة بجانبها) هذا صوتُ يونس يا أماه.

مارجريتا : صهْ يا بنتي لا يسمعك أبوك.

أصوات : (ترتفع مُختلِطاً بعضها ببعض)

ـ كلا لا نُسلم لهم الأسلحةَ.

ـ يا قوم هذا خالد العملاقُ الرهيبُ نفسه.

ـ يجبُ أن نقاتلَهم، إننا على خُطوات من المصّيصة!

ـ والله ليَحْصدنَّكم خالد ولا ينفعكم أحدٌ.

ـ ألقُوا إليه الأسلحةَ. ما تصنعون بالأسلحة؟

ـ عندنا منها كثير. أرواحُنا أثمنُ من الأسلحة.

ـ اسمعوا.. هذا توماس يريدُ أن يتكلم.

توماس : (يتقدم إلى الأمام) يا معشرَ العرب. كنا نظُن أنكم لا تغدِرُون ولا تنقضُون العهدَ، فإذا الغدرُ شِيمتكم. كيف أبحتم لأنفسكم أن تنقُضُوا كتابَ الصلح الذي بيننا وبينكم ولمّا يجِفّ مدادُه؟

يونس : كلا ما نقَضْنا عهدكم. لقد خرجْنا من دمشق بعد انقِضاء ثلاثة أيام من خرُوجكم فأدركْناكم. فصار لنا الحقُّ بمُوجب كتاب الصلح أن نأخذَ منكم الأسلحةَ. فألقوها إلينا خيراً لكم، وإلا فأنتم تعرفون بطشَ خالد.

أصوات : اسكت يا توماس.. لا تُلقِ بنا إلى الهلَكة. أعطُوهم الأسلحة وأنقِذُوا أرواحكم. ماذا نصنع بالأسلحة؟

توماس : إن كنتم تريدون تسليمَ الأسلحة فما أنا إلا واحِدٌ منكم. يا معشرَ العرب، إننا سنُلقي إليكم الأسلحةَ على شَرْطِ ألا تمسُّونا بسوء، ولا تنهبُوا ما عندنا من مال ومتاع.

يونس : (صوته) نحن لا نريد منكم غيرَ الأسلحة .

توماس : وَيْ ! هذا يونس ! عجباً كيف لم أعرِفْ صوتَه إلا الساعة (ينظر نحو ابنته وزوجته) عرفتْ صوتَه قبلي . إنها تتطلعُ نحوه .

يودوقيا : (لأمها) يخيّل إليّ يا أماه أن أبي قد عرف صوتَه . إني سأهرب إليه يا أماه قبل أن يفوت الأوانُ .

مارجريتا : كلا لا تفعلي يا بنيتي .. إن أباك سيقتلك .

يونس : (صوته) أنتم جميعاً في أَمان الأميرِ خالد . فارسِلُوا إلينا الأسلحة .

توماس : هذا صوتُه لا ريبَ في ذلك .

أصوات : أجِبْهم يا توماس .. أجبهم .

توماس : رُوَيدكم ، سنرسل إليكم الأسلحة .

يودوقيا : إنه يلاحِظُني يا أماه بنظراتٍ غريبة ، فيها حِقْد وقَسْوة . وداعاً يا أماه .. إني هاربة إلى يونس .

(تنْسَلُّ هاربةً ناحية المسلمين حتى تَغيب)

توماس : (يُسرع إلى قَوْسه فيُطلق سَهْماً على ابنته) أيتُها الفاجرة !

يودوقيا : (تسمع صرختها من ناحية المسلمين) آه ، قتلني أبي !

يونس : (صوتـه) حبيبتي يودوقيا . توماس قتلَ يودوقيا أيها الأمير ! توماس قتل يودوقيا أيها الأمير !

خالد : (صوته الجهوري) أنا خالد أقولُ لكم سلِّموا توماس الذي قتل ابنتَه يودوقيا ، حتى لا يعمكم العقابُ .

أصوات : سلّم نفسَك يا توماس .. سلّم نفسك يا توماس.

توماس : (بأعلى صوته) ما شأنُكم أنتم ؟ إنهـا ابنتي لا شأنَ لأحد بها غيري .

أصوات : سَلّم نفسك يا توماس .. سلم نفسك يا توماس.

مارجريتا : (باكية تتفجع) تَبّاً لك يا توماس ! أطوّعت لك نفسُك قتل ابنتك ؟ ابنتنا الوحيدة يودوقيا.

توماس : تريد أن تُبدّلَ دينَها، وتتزوج هذا السوري اليعقوبي.

مارجريتا : وهل هذا ذنبٌ يوجِبُ القتل !

توماس : أنتِ التي شجعتِها إذن . (يهم بضربها)

مارجريتا : أنقذوني ، أنقذُوني من هذا الوحش !

(يلتف الناس حولَ توماس فيقْبِضُون عليه)

المشهد السابع

البقعة التي فيها المسلمون من المكان نفسه . ترى يودوقيا صريعة على الأرض وحولها أم تميم وأم أبان وخولة بنت الأزور يداوين جرحها ، ويقف قريباً منهن يونس وهو يبكي وخالد يواسيه .

خالد : تجلّد يا يونس . إنهن يُعالجن جُرحها ، فإن كتبَ الله لها النجاةَ فستنجو ، وإلا فلن يُنجّيها بكاؤك . (يلتفت إلى النسوة) كيف حالُ الجريحةِ ؟

أم تميم : مُغمًى عليها يا خالد فلا نعرف هل...

خالد : (مقاطعاً) ابذُلي كل ما في وُسعك يا أم تميم.

توماس : تريد أن تُبدّلَ دينَها، وتتزوج هذا السوري اليعقوبي.

مارجريتا : وهل هذا ذنبٌ يوجِبُ القتل !

توماس : أنتِ التي شجعتِها إذن . (يهم بضربها)

مارجريتا : أنقذوني ، أنقذُوني من هذا الوحش !

(يلتف الناس حولَ توماس فيقْبِضُون عليه)

المشهد السابع

البقعة التي فيها المسلمون من المكان نفسه . ترى يودوقيا صريعة على الأرض وحولها أم تميم وأم أبان وخولة بنت الأزور يداوين جرحها ، ويقف قريباً منهن يونس وهو يبكي وخالد يواسيه .

خالد : تجلّد يا يونس . إنهن يُعالجن جُرحها ، فإن كتبَ الله لها النجاةَ فستنجو ، وإلا فلن يُنجّيها بكاؤك . (يلتفت إلى النسوة) كيف حالُ الجريحةِ ؟

أم تميم : مُغمًى عليها يا خالد فلا نعرف هل...

خالد : (مقاطعاً) ابذُلي كل ما في وُسعك يا أم تميم.

(يلتفت إلى الناحية التي فيها الروم)

ها هُم أولاء قد جاءوا به مكتوفاً .

أم أبان : (تنهض وتدنو من خالد) دعْني يا أبا سليمان أقتلْه أنا وأبر قسمي .

خالد : (ناظراً نحو جهة الروم) حَسْبُكم . قفوا مَكانَكم وسَطاً بيننا وبينكم حتى يراه الكلُّ . دُقّوا عموداً في الأرض فاربطوه إليه .

صوت : (من ناحية الروم) أنَصْلُبه يا سيدي الأمير ؟

أصوات : أجل اصلُبه يا أميرَ العرب ! اصلبه فإنه يستحقّ الصَّلب !

خالد : كلا يا قومُ ، إن ديننا ينهانا عن التعذيب والمثلة ، ولكنا سنُمضي فيه حكمَ الله فيمَنْ قتل عَمْداً بغيْر حق .

أم أبان : تَأذَنُ لي يا أبا سليمان ؟

خالد : تَرْمِينَه بسهم !

أم أبان : في كبِده .

خالد : لستُ أدري أيجوز أن يُقتل بغير السيف ؟

أم أبان : لم لا ؟ القتلُ هو القتل .

خالد : ضربُ العنق أخفُّ وأسرعُ .

أم أبان : ثِقْ يا أبا سليمان أن سَهمي سيُصيب سَواءَ كبده ، فيموت في التوّ .

خالد : اللهم لا علْم لنا فاغفرْ لنا إن كان ذنباً . هيا يا أم أبان ، دُونَكِ القاتل فارْميه . ابْتعدُوا عن العمود .. لكن انْتَظِري يا أم أبان .. حتى تقضِي الفتاةُ نحْبَها فرُبّما تعيشُ .

مارجريتا : (صوتها) يا أميرَ العرب أُريدُ أن أرى يودوقيا . أريد أن أرَى ابْنَتي .

خالد : تَعالَيْ يا أمةَ الله ، افسَحُوا لها الطريقَ .

(ينسحب)

(تظهر مارجريتا فتنكب على ابنتها تبللها بدموعها)

مارجريتا : يودوقيا ! يودوقيا ! أنا أمّكِ يا يودوقيا ! لا تَمُوتي يا يودوقيا !

أم تميم : (تُوَاسِيها في حَنَان) هذه غَشْية وستَفِيق منها بإذن الله .

مارجريتا : (ترتمي على أم تميم باكيـــة) حسْبُكَ اللهُ يا توماس .

يونس : (الذي لا تغفل عينُه عن يودوقيا طولَ الوقت يَقْتَرِب منها) يودوقيا ! يودوقيا ! أنا يونس يا يودوقيا ! يودوقيا !

يودوقيا : (تتمتم) يونُس !

يونس : نعم أنا يونس يا يودوقيا .

يودوقيا : (تفتحُ عينيها) يونس أين نحن ؟ ومـــاذا نَصْنع هنا ؟ (يلذعُها الألم) آه آه قتَلَني أبي..

أبي قتلني .

يونس : ستعيشين يا يودوقيا ، وتكونين لي وأكونُ لـك .

يودوقيا : (تَسْعُلُ سعلة شديدة) هيهـات يا يونس ، انتهيت .

يونس : هل لك أن تجيبيني إلى طلب صغير ؟

يودوقيا : تريدني أن أُسلِم مثلك ؟

يونس : نعم ، بحَق حُبّنا الطّاهِر يا يودوقيا .

يودوقيا : وما الفائدةُ الآن ؟

يونس : لعلّنا نجْتمعُ يا يودوقيا في الجنّة .

يودوقيا : أَلَهُم جَنة ولنـا جنّة ؟ أَلَيْسَتْ جنّةُ الله الله واحدة ؟

يونس : أَسْلِمي يا يودوقيا مثلي .

مارجريتا : كلا لا تُغيِّري دينَك يا يودوقيا .

يودوقيا : (تنظُر إلى أمها) أمّاه أنت هُنا ؟

مارجريتا : نعم .

يودوقيا : مع المسلمين ؟

مارجريتا : لا يا يودوقيا . أنا جئتُ لِأَراك . إيَّاكِ يا بُنَيّتي أن تُغيّري دينَك .

يودوقيا : اللهُ محبَّةٌ ؟

مارجريتا : أَجَلْ يا يودوقيا اللهُ مَحبَّةٌ .

يودوقيا : لذلك قَتَلَني أبي .. لأنني أحببْتُ ! (تَسْعُلُ سعْلة أخرى) آه .

يونس : يودوقيا !

يودوقيا : يونس .. أنا على دينِكَ يا يونس أيّاً كان .

يونس : أنا مُسلِم يا يودوقيا .

يودوقيا : (بصوت مُتَقَطِّع) فأنا إذن مُسلمة . (تموت)

يونس : (ينهضُ فرحاً) الحمدُ لله لقد أسلَمتْ يودوقيا أيها الأميرُ ، أسلمتْ وهي تموتُ .

خالد : (يظهر) الحمد لله . سنُصَلِّي عليها يا يونس .

هيا يا أم أبان ، دونَكِ القاتل فاقْتُليه .

توماس : (يسمع صوته صائحاً) يا أميرَ العربِ كيف تقْتلني بلاَ مُحاكمة ؟

خالد : قد سمعْنا إقْرارَك آنفاً بقَتْل ابنَتِك .

أصوات : (من ناحية الروم) ونحن جميعاً شاهدُون على ذلك .

مارجريتا : (مُتَوسّلة) يا أميرَ العرب الرحمةَ الرحمةَ ! ابنتي وزوجي في يومٍ واحد ؟

خالد : تَتَشفعين له وقد قَتَل ابنَتكِ ؟

مارجريتا : (باكيةً) يا سيدي الأمير إنَّه بعدُ زَوْجي ؟

القعقاع : لِمَ لا تعفُو عنه يا خالد ، فيكون ذلك أبلغَ فيما نَقصِد ؟

يونس : كلا يا سيدي لا تَعفُ عنه .. يجبُ أن ينالَ جزاءه .

مارجريتا : لو كنْتَ تحِبُّ يودوقيا حقاً ، لعطفت على

أمّها وأبيها .

خالد : هيا يا أم أبان في سَواء الكبد !
(تُصوّب أم أبان قوْسَها من أوضاعٍ مختلفة ،
(كأنها تخشى أن تُخطِىءَ كبدَه) .

توماس : (صوته) اقتلوني إذن وأريحُوني !

مارجريتا : الرحمةَ يا أمير العرب الرحمةَ !

أم أبان : (تضْطَرِب في يَدِهـا القوْسُ وتُتَمْتِم)
لا تكُوني مثلَ آكلة الأكباد يوم أُحد. أنت
لستِ مثلَها .. أنت نشأتِ في الإسلام .

خالد : (يدنو منها) ما خطبك؟

أم أبان : (تبكي) أعْفِني يا أبا سليمان .. لا أستطيع .
(تنسحب)

خالد : إذَن فقدْ أراد اللهُ له النجـاةَ . أطْلِقُوا
سَراحَه ، وليصنعْ به هرقْل ما يَشاء .

ماجريتا : شُكراً لك يا أميرَ العرب ، شكراً لك أبَدَ
الدهْر . والآن ألا تُعْطُونني جثّةَ ابنتي ؟

خالد : كلاَّ هذه قد أصْبحَتْ منا ، فسَنُصَلّي عليها
وندفِنُهَا نحن .

مارجريتا : (تمْشِي مُتَضَعْضِعَة لتعودَ إلى جانبِ الرّوم
وهي تتمتم) : حسْبك اللهُ يا توماس . أنت
الذي أخرَجْتها من دينها . قتلْتهَا جسَداً
وروحاً فماتتْ موتَتين .

خالد : (مُنادياً) أيها المسلمون .. هَلُمُّوا إلى الصلاةِ
على أُختكم أَمَةِ اللهِ يودوقيا بنت توماس !

المشهد الثامن

في منزل أبي عبيدة بدمشق .

(أبو عبيدة وعنده خالد . وعلى خالد غبار السفر) .

أبو عبيدة : لا حولَ ولا قـــوةَ إلا بالله . ومَنْ الذي بلّغَك النبأَ ؟

خالد : أحدُ رجالي .

أبو عبيدة : فقطعتَ المسافةَ كلَّها في يوم وليلة ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : لقد تجشّمْتَ صعْباً يا أبا سليمان .

خالد : لم أستطعْ صبْراً يا أبا عبيدة . ما كان ينبغي أن تُخْفِيَ مثلَ هذا النبأِ عني .

أبو عبيدة : معْذرةً يا خالدُ ، لقد اضطُررتُ إلى ذلك إذ وصَلَني كتابُ عمر غداةَ جـــاء الرومُ يُفاوِضُونني في الصلح ،فخَشِيتُ على المسلمين الفتنةَ والجزعَ ، وخشيتُ كذلك أن يَعْدِل الرومُ عن طلب الصلْحِ أو يتشَدّدُوا في شُرُوطه .

خالد : فذاك الذي حَمَلك على التعجيـلِ بإمْضَاءِ الصلح ؟

أبو عبيدة : نَعم .

خالد : هذا حسنٌ ، ولكن بعد إمضاءِ الصلحِ وبعد أن سَيْطرْنا على المدينـة ، بل بعْد أن خرَج الروم منها ، لِمَ كتَمْتَني بعد .؟

أبو عبيدة : إني وجدتُـك حينئذٍ تستعدّ لمطـــاردةِ الخارجين، فلم أَشَأْ أن أكسر عليك حربك

المشهد الثامن

في منزل أبي عبيدة بدمشق .

(أبو عبيدة وعنده خالد . وعلى خالد غبار السفر) .

أبو عبيدة : لا حولَ ولا قـــوةَ إلا بالله . ومَنْ الذي بلّغَك النبأَ ؟

خالد : أحدُ رجالي .

أبو عبيدة : فقطعتَ المسافةَ كلَّها في يوم وليلة ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : لقد تجشّمْتَ صعْباً يا أبا سليمان .

خالد : لم أستطعْ صبْراً يا أبا عبيدة . ما كان ينبغي أن تُخفِيَ مثلَ هذا النبأِ عني .

أبو عبيدة : معْذرةً يا خالدُ ، لقد اضطُررتُ إلى ذلك إذ وصَلَني كتابُ عمر غداةَ جـــاء الرومُ يُفاوِضُونني في الصلح، فخَشِيتُ على المسلمين الفتنةَ والجزعَ ، وخشيتُ كذلك أن يَعْدِل الرومُ عن طلب الصلْحِ أو يتشَدّدُوا في شُرُوطه .

خالد : فذاك الذي حَمَلك على التعجيـلِ بإمْضَاءِ الصلح ؟

أبو عبيدة : نَعم .

خالد : هذا حسنٌ ، ولكن بعد إمضاءِ الصلحِ وبعد أن سَيْطرْنا على المدينـة ، بل بعْد أن خرَج الروم منها ، لِمَ كتَمْتَني بعد .؟

أبو عبيدة : إني وجدتُـك حينئذٍ تستعدّ لمطـــاردةِ الخارجين، فلم أشأْ أن أكسر عليك حربك.

المشهد الثامن

في منزل أبي عبيدة بدمشق .

(أبو عبيدة وعنده خالد . وعلى خالد غبار السفر) .

أبو عبيدة : لا حولَ ولا قـــوةَ إلا بالله . ومَنْ الذي بلّغَك النبأَ ؟

خالد : أحدُ رجالي .

أبو عبيدة : فقطعتَ المسافةَ كلَّها في يوم وليلة ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : لقد تجشّمْتَ صعْباً يا أبا سليمان .

خالد : لم أستطعْ صبْراً يا أبا عبيدة . ما كان ينبغي أن تُخْفِيَ مثلَ هذا النبأِ عني .

أبو عبيدة : معْذرةً يا خالدُ ، لقد اضطُررتُ إلى ذلك إذ وَصَلَني كتابُ عمر غداةَ جـــاء الرومُ يُفاوِضُونني في الصلح، فخَشِيتُ على المسلمين الفتنةَ والجزعَ ، وخشيتُ كذلك أن يَعْدِلَ الرومُ عن طلب الصلْحِ أو يتشَدّدُوا في شُرُوطه .

خالد : فذاك الذي حَمَلك على التعجيـلِ بإمْضاءِ الصلح ؟

أبو عبيدة : نَعم .

خالد : هذا حسنٌ ، ولكن بعد إمضاءِ الصلحِ وبعد أن سَيْطرْنا على المدينـة ، بل بعْد أن خرَج الروم منها ، لِمَ كتَمْتَني بعد .؟

أبو عبيدة : إني وجدتُـك حينئذٍ تستعدّ لمطـــاردةِ الخارجين، فلم أَشَأْ أن أكسِر عليك حرْبك.

وقد حاولتُ أن أُثنيك عن تلك السَّريّةِ لأتفقَ معك على الرأي في إعْلان وفاةِ أبي بكر وتوليةِ عُمر ، فقد كنْتُ أخشى أن يَبلُغَ عمرَ أننا لم نُعلن ولايتَه للمسلمين فيَغْضب ، فوَقعْتُ في حَرَج ، واضْطُررْتُ آخر الأمر إلى إعلان الأمرِ غداةَ مَسيرك ، ولكني لم أُعْلِن حتى الآن خبرَ عزْلك .

خالد : يرحمك اللهُ ، وما منَعك من ذلك ؟

أبو عبيدة : أردتُ يا أبا سليمان أن تكونَ أولَ من يَعْلمُ ذلك .

خالد : كأنَّ أحداً لا يعلمُ ذلك حتَّى الآن ؟

أبو عبيدة : اللهم إلا مُعاذُ بنُ جبلٍ ، فهو خَليلي وعَيْبةُ سِرّي . والله يا خالد لوَدِدْتُ لو بقِيت في منصِبك أميراً للجيش ، فانت أعْلمُ مِنّي بالحرب .

خالد : قد علِمْت يا أبا عبيدة أن عمرَ لن يُبقيني

في إمارة الجيش أبداً .

أبو عبيدة : لا بأس يا أبا سليمان . إني سأَعملُ برأيك ولا أقْطعُ أمراً دونك . وأجْعَلُك وكأنك أنت أميرُ الجيش . ولبِّثْ قليلاً فلنْ أزال بابن الخطاب حتى يُعيدَك حيثُ كُنْتَ .

خالد : كلا لا تفعلْ أنشُدُك اللهَ . إنا يا أبا عبيدة لا نَعملُ لعمر ولا لغَيرِ عمر ، إنما نعملُ للهِ الحيّ القيومِ الذى لا يَموتُ .

أبو عبيدة : صدقْتَ يا أبا سليمان وبَرَرْت .

خالد : واحسْرتاه يا أبا عبيدة أن الإسلام فاجأنا وأذْهلَنا فقاوَمْناه ، فلما آمنّا به كان الآخرون قد سَبَقُونا إليه . وإني لأظنُّ أن مِن الظّلم أن يُوازَن بيننا وبين المستضعَفين ، فإن هؤلاء ما كان يَسعُهم إلا أن يُسارِعُوا إلى الإيمان ليتخلَّصوا به من الذّل الذي كانوا يُعانُون ، وليس أمرُنا كذلك .

أبو عبيدة : فما تقولُ إذن في أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ ، وقد

كانوا من الأشرافِ ؟

خالد : أما أبو بكرٍ فصديقُ رسول الله ﷺ وصَفِيُّه، أما عثمان فرجلٌ سهل ليِّن أقنعَه أبو بكر، وأما عمرُ فقد مكثَ ستّ سنين لَقي المسلمون خِلالَها من أذاه ما لم يَلقَوْه إلا من قليل .

أبو عبيدة : ولكنَّه لما أسلم اعتزّ به الإسلامُ .

خالد : لو شاء الله لأسلمتُ يوم أسلم عمر . إذن لكان لي اليوم شأنٌ آخر .

أبو عبيدة : أيَّ شأنٍ تعني يا أبا سليمان ؟

خالد : لا تُلقِ لها بالاً يا أبا عبيدة ، فإنما هي أُمنِيَةٌ جالَتْ ثم زالَتْ . وإني لأحمدُ الله على ما أنعم . فقد كان يَسيراً على اللهِ أن يُميتني على الكفرِ كما أماتَ الوليدَ بنَ المُغيرة وعمروَ ابن هشام بن المغيرَة ، وإن كانا لعَظِيمَين !

المشهد التاسع

في قصر هرقل ملك الروم بحمص .

هرقل على عرشه وفوق رأسه التاج يلمع . ويجانبه زوجته الشابة الملكة مارتينا ، وقد مثُل أمامه القائد تيودور .

هرقل : (غاضباً) خَبِّرني يا تيودور كيف استطاعتْ هذه السّرية من العرب أن تَصِل إلى مَرْجِ الديباج ، دون أن يُنذِر بهم أحدٌ ؟ أين جنودُنا ؟ وأين مَخافِرنا ؟

تيودور : يا سيدي القيْصر ، هذه السريةُ كان يقُودها خالدٌ نفسُه . وقد تصدّى له كثيرٌ من جنودِنا على طُولِ الطريق ولكنه هَزَمهُم .

هرقل : فكيف لم نعلم بنبئهم إلا بعد ما انتهى كلُّ شيء ؟

تيودور : يا سيدي القيصر ، إن خيولهم كانت تجري بهم في سرعة مذهلة . من ذا يصدِّق أنهم قطعوا المسافةَ من دمشق إلى مَرْج الديباج في أقلَّ من يومين وليلتين ؟

هرقل : والله إني لَفي حيْرةٍ من هؤلاء ومنكم . كلما سألتكم قلتم : رجالهم أشجعُ من رجالنا ، وخيولهم أسرعُ من خيولنا ، ولو استطعتم لقلتم أيضاً إنهم أكثرُ منا عدداً وأقوى منا عُدةً .

تيودور : إني أنصحُ سيدي القيصر بالرحيل من حمص ، فقد أصبح بقاؤه بها غيرَ مأمونِ العاقبة .
(يتهلَّلُ وجه الامبراطورة مارتينا دون أن تتكلم) .

هرقل : (ممتعضاً) إلى أين ؟

تيودور : إلى أنطاكية .

هرقل : ثم من أنطاكية إلى أين ؟

تيودور : (في حيْرة) لا ينبغي أن نَشغَل بالَنا بذلك من الآن يا مولاي .

هرقل : (ضائق الصدر) إني لا أذكر أنك أشرتَ عليَّ برأيٍ في مُقاومةِ العرب ومقاتلتِهم قط ، وإنما تنصحُني دائماً بالرحيل من مكانٍ إلى مكان . من بيت المقْدِس إلى دمشق .. من دمشق إلى حِمْص .. من حِمْص إلى أنطاكية .. من أنطاكية إلى جهنَّم !
(يعبس وجه مارتينا) .

تيودور : يا سيدي القيصر ، إن إخْلاصي لك هُوَ الذي يَدْفعُني إلى ذلك . إن هذه المُدنَ والبلادَ يمكنُ استردادُها ما بَقِي لنا الإمبراطورُ هِرَقْل ، هازِمُ كِسْرَى ، ومحرِّرُ قَبْرِ المسيحِ ، ومُعيدُ الصليبِ الأعظمِ إلى

هرقل : فكيف لم نعلم بنبئهم إلا بعد ما انتهى كلُّ شيء ؟

تيودور : يا سيدي القيصر ، إن خيولهم كانت تجري بهم في سُرعة مُذهلة . مَن ذا يصدِّق أنهم قطعوا المسافةَ من دمشق إلى مَرْج الديباج في أقلَّ من يومين وليلتين ؟

هرقل : والله إني لَفي حَيْرةٍ من هؤلاء ومِنكم . كلما سألتكم قُلتم : رجالهم أشجعُ من رجالِنا ، وخيولهم أسرعُ من خيولنا ، ولو استطعتم لقلتم أيضاً إنهم أكثرُ منا عدداً وأقوى مِنا عُدةً .

تيودور : إني أنصحُ سيدي القَيْصر بالرحيل من حمص ، فقد أصبح بقاؤه بها غيرَ مأمونِ العاقبة .
(يتهلَّلُ وجه الامبراطورة مارتينا دون أن تتكلم) .

هرقل : (ممتعضاً) إلى أين ؟

تيودور : إلى أنطاكية .

هرقل : ثم من أنطاكية إلى أين ؟

تيودور : (في حَيْرة) لا ينبغي أن نَشغَل بالَنا بذلك من الآن يا مولاي .

هرقل : (ضائق الصدر) إني لا أذكر أنك أشرتَ عليَّ برأيٍ في مُقاومةِ العرب ومقاتلَتِهم قط ، وإنما تَنصحُني دائماً بالرحيل من مكانٍ إلى مكان . من بيت المقْدِس إلى دمشق .. من دمشق إلى حِمْص .. من حِمْص إلى أنطاكية .. من أنطاكية إلى جهنَّم !
(يعبس وجه مارتينا) .

تيودور : يا سيدي القيصر ، إن إخْلاصي لك هُوَ الذي يَدْفعُني إلى ذلك . إن هذه المُدنَ والبلادَ يمكنُ استردادُها ما بَقِي لنا الإمبراطورُ هِرَقْل ، هازِمُ كِسْرَى ، ومحرِّرُ قَبْرِ المسيحِ ، ومُعيدُ الصليبِ الأعظمِ إلى

كنيسةِ القيامة . ماذا يكون هؤلاء العرب؟
أيكونون أقوى من الفرس حين اغتصبوا
منا سورية ومصر ، وزحفوا في عُقر دارنا
حتى شارَفُوا القسطنطينية ؟ لقد مَلَكوا
هذه البلادَ عشرَ سنين ، ثم ماذا ؟ ثم طردتهم
منها يا مولاي ، فكأنهم ما ملكوها قط .

هرقل : (سرَّه هذا الحديثُ قليلاً في أولِ الأمرِ ،
ولكنه سَرْعان ما ضاق بـه) فأنت تُؤمِن
إذن أنني قادرٌ على طرْدِ هؤلاء العرب من
هذه البلاد ؟

تيودور : بقُدْرة الله ، وبِسِرّ السيد المسيح وعَوْن
القِدِّيسين .

هرقل : إني باقٍ إذن في حِمْص ، ولن أرْحَل منها
أبداً حتى أطردَهم بقُدْرة الله ، وبسِرّ السيدِ
المسيح ، وعَوْن القِدِّيسين !

(يزداد وجه مارتينا عبوساً)

تيودور : لكن يا مولاي ...

هرقل : (غاضباً) اخْرُج من عندي لا أريد نصائحك.

تيودور : يا مولاي ...

هرقل : اخْرُج . (يخرج القائدَ تيودور)

الحاجب : القائدُ باهان يستأذِنُ يا مولاي .

هرقل : دعْه يدْخل .. لقد جاء في الوقتِ المناسبِ .
(يدخل باهان)

باهان : (يرْكَع أمـــام العَرش) التحياتُ لمولاي
الإمبراطور .

هرقل : اسْتَعِدّ يا باهان ، فإني قد قَرّرت أن أبْقَى في
حمص ولا أبْرَحها حتى أكسِرَ هؤلاء العربَ
الأجلاف ، وأطردَهم شرّ طِردة .

باهان : بَاركتْك السماءُ يا مولاي الإمبراطور ! هذا
هُو الرأيُ الذي طالَما نصحْتُك به مُذ كُنا
في أرض فِلَسْطين .

هرقل : (يخْتَلِسُ نظرةً إلى مارتينا فَيُروعُه عبوسُ

وجهِها ، فينظرُ إلى باهان مَليّاً) اصْدُقْني يا باهان ، أترَى ذلك مُجْدِياً بعدُ أم قد فاتَ الأوانُ ؟

باهان : يا مولاي لا تتردّد فيما اتخذتَه من قرار . إنك إذا رَابَطْت بحمص تَشَجَّع جنودُك وتحمَّسوا ، وقالوا ليستْ حياتُنا بأغلى من حياةِ الإمبراطور ، واطمأنتْ نفوسُ الأهالي إلى قُوّتِنا فأعانونا على العدوِّ بكلِّ ما يملِكُون .

هرقل : ألاَ ترَى أن أنْطَاكيَة أحصنُ وأمنعُ ؟

باهان : يا مولاي الإمبراطور ، إنما المناعَةُ في النفوس لا في الأسوار والحصُون .

هرقل : صدقْتَ يا باهان .. إني قد ولّيتُك القيادةَ العامةَ ، فاجمعْ جُموعَك ودبِّرْ خُططَك على أساسِ أني باقٍ في حِمْص .

باهان : (يركع مُعظِماً) إني أشكرُ جلالَةَ الإمبراطور ، وأعِدُه بأني سأنتصرُ على

العرب ، أو أُموت فِداءً له . (يخرج) (يزداد العَبوسُ في وجهِ مارتينا دون أن تَنْبِس ببنت شَفَةٍ ، ويختلسُ هرقل النظرَ إليها كأنه يخْشى أن يُواجِهَها ، وإذْ يراها عابِسةً ينقبِضُ صدرُه) .

هرقل : مارتينا أيتها الحبيبةُ ، ما بالُك عابسَةً ؟

مارتينا : ألا تعرفُ يا حبيبي السببَ ؟

هرقل : ماذا أَصْنعُ يا مارتينا ؟ لو بَقيتُ أرْحَلُ من مكانٍ إلى مكانٍ فسأتركُ سُورية كلَّها لهؤلاءِ العربِ .

مارتينا : خير لنا أن نتركها لهم ، من أن نقع أسرى في أيديهم .

هرقل : إن كنْتِ خائفةً يا حبيبتي ، فلا بأسَ أن ترْحَلي أنتِ .

مارتينا : (في دَلاَل) تَبّاً لك يا هرقل . إنما أنا خائفةٌ عليك أنت !

هرقل : نحن هُنا في أَمانٍ . المدينةُ منيعةٌ يا مارتينا.

مارتينا : ليسَتْ يا حبيبي بأمنعَ من دمشقَ .

هرقل : قد سَمعتِ يا حبيبتي ما قلتُ للقائدِ باهان .

مارتينا : لو كان هذا الأرْمَنيّ مُخلصاً لك، لقال لك ارْحَل من حِمْص ودعْني أُرابِط فيها وأُدافع عنها إلى الموت. ألاَ تعلَمُ يا حبيبي أنهم إذا وَصلوا إلى حمصَ وأنتَ بها ، استماتُوا في القتال ليخْلُصُوا إليك فيأخذُوك ؟ أتريدُ يا حبيبي أن يسُوقُوك ويسوقوني معك إلى مَلِكِهم في جزيرة العربِ ؟

هرقل : اطمئني يا مارتينا. .اطمئني يا حَبيبةَ القلبِ.

مارتينا : نَرحَلُ غداً إلى أنطاكية ؟

هرقل : نرْحَل !

المشهد العاشر

منزل عمر بن الخطاب في المدينة .

بهو صغير ليس فيه من الأثاث إلا قليل .

عمر : (يرى زوجَته غاضِبةً فيُواسِيها) اصْبِري يا عاتكةُ ، فإن الله مَع الصابرين .

عاتكة : ألاَ تعلَمُ يا عمر أنه ليس في بيتنا اليوم شيءٌ ؟

عمر : نحن اليومَ صائمان، وإلى أن تغرُبَ الشمسُ يكون اللهُ قد جاء بالفرج إن شاء الله .

عاتكة : يا ابنَ عمي ليس الذي بي هو هَمُّ اليوم فحسْب . فهَبْنا جاءنا شيءٌ عند الإفْطار ،

فما يكونُ حالُنا غداً وبعْدَ غد؟

عمر : إني اشتركتُ في تجْهيزِ عِيرٍ إلى اليمن، لعلها تعودُ بربْح طيبٍ إن شاء الله.

عاتكة : ومَتى تعودُ تلك العِيرُ؟ لن تعُودَ قبلَ شهرين. وإذا جاءتْ وجاءكَ ربحٌ منها فستَقْضي به الديونَ التي عليك لحفْصَة ابنتك، ولعبدِ الله ابنِك، ولغيرِهما.

عمر : صدقْتِ، فبِمَ تُشيرينَ عليّ؟

عاتكة : اجعلْ وقْتاً للنظرِ في أُمورِ الناس، ووقتاً للتِّجارة في السُّوق.

عمر : فهذا هُو ما أصْنعُ يا عاتكةُ.

عاتكة : كلا، إنك لم تذهَبْ إلى السوق غيرَ يومين طِوَال هذا الشهر: يوم جِئْتَنا بوَسَق من التمر قلتَ إنك رَبِحْتَه، ويوم اشتريتَ الغنمَ من ذلك الأعرابي فبعتَها إلى القصَّابِ، فكان ربحَك منها قطعةَ لحم في يدِك.

عمر : (يضحك) ذلك الأعرابيُّ من زَرود! قاتله اللهُ! لقد سامَني يومئذ الخسْفَ. لكأني أراه وقد وَثَبَ مُغْضَباً فأخذ بثيابي وضَربني في صدري، وقال هَلُمَّ الثمنَ أو أُقاضيك إلى عمر. قلت له: سيسْتأْنِيك عمرُ لي حتى أبيعَ الغنمَ فأُعطِيَك الثّمنَ الذي لك. قال لي: واللهِ لَئِنْ فعلَ عمرُ ذلك لأقولَن له إنك ظالمٌ! (يمضي عمرُ في ضحكه) فاضْطُرِرْتُ أن أبيعَها لذلك القصّاب بغيرِ ربْحٍ، إلا تلك القِطعةَ من اللحم.

عاتكة : أليس ذلك لأنك كنْتَ مشْغُولاً عن السُّوق، وأنت في السُّوقِ؟

عمر : صدقْتِ كنتُ مَشْغولَ البالِ يومئذ.

عاتكة : فكيف يَستقيمُ الحالُ على ذلك يا أبا عياض؟

عمر : هَلاَّ قُلتِ يا أبا حَفْص؟

عاتكة : أبو عياض أحَبُّ إلي.

عمر : ويْحَك ! ! إن رسول الله ﷺ هو الذي كناني أبا حَفْص .

عاتكة : (تنظر جهةِ الباب) هذه حَفْصةُ أمُّ المؤمنين.

عمر : أهلاً بحفصة .. أهلاً بأم المؤمنين .. إياك يا بُنيَّةُ أن تَكُوني جئتِ لتأْخُذِي شيئاً مما لكِ على أبيك ؟

عاتكة : فليْسَ مع أبيكِ اليوم شيءٌ .

حفصة : بل جئتُ يا أَبَتِ بمائةِ درهم لك .

عمر : من أين أتيْتِ بها ، وما كان عندك شيءٌ ؟

حفصة : اقترَضْتُها يا أبي من إحدى صَوَاحِبي .

عمر : لا والله لا أقترضُ ممن يَقْتَرِض . خُذِيها يا بنيةُ فرُدِّيها لصاحِبَتكِ .

حفصة : لكنَّك بحاجةٍ إليها .

عمر : قد وَعَدَني عبدُ الرحمن بنُ عوف أن يُقرضني اليوم شيئاً . اذْهَبي الساعة عَوْدَك على بَدِئك

فردّيها لصاحبتك .

عاتكة : ألا تَدَعُ أمَّ المؤمنين بيْنَنا نأْتنسُ بها قليلاً؟

عمر : أم المؤمنين ستذهَب إلى صاحِبَتِها فتردّ لها مالَها ، ثم تعودُ إلينا فنأتنسُ بها .
(تخرج حفصة) .

عاتكة : أحقاً وعدكَ عبدُ الرحمن بن عوف ؟

عمر : نعم ، وقد أرسَلْت إليه أَسْلَم ليقْبِض منه .

عاتكة : فإنك لم تُخبرْني بذلك؟

عمر : خَشِيت يا عاتكةُ أن تَلُوميني .

عاتكة : كم وعدك أن يُقرضَك؟

عمر : مائتي درهم .
(يدخل أسْلَمُ)

عمر : وجدْتَه يا أسلم ؟

أسلم : نعم يا سيدي ، ولكنه لم يَدفعْ لي شيئاً .

عمر : ماذا قال لك؟

أسلم : قال لي : قُلْ لمولاك يأخذُها من بيتِ المال ثم ليردّها .

عمر : (غاضباً) ويْلَك ! أوقد قال عبدُ الرحمن بن عوف ذلك لك ؟

أسلم : نَعمْ يا سيدي .

عمر : تذكّر يا غُلامُ لعلّه قالَ لك شيئاً آخر .

أسلم : أَجلْ يا سيدي ، قال لي شيئاً آخر أيضاً .

عمر : ماذا قال لك ؟

أسلم : إنه آتٍ إليك الساعةَ ليتحدَّثَ معك .

عمر : قَاتَلَ اللهُ الشُّح ! ألم أكُنْ أعلم أن في وُسْعِي أن أقْتَرِض من بيت المال لو شئت ؟ أكنْتُ بحاجةٍ إلى عبد الرحمن بن عوف ليدُلَّني على ذلك ؟

(يخرج أسلم) .

عاتكة : ليْتَك أخذْتَها من حَفْصةَ ابنتِك .

عمر : واللهِ لَيكُونَنّ لي معه كلامٌ .

أسلم : (يعود) بالبـــاب عبدُ الرحمن بنُ عوف وجماعةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ .

عاتكة : رُوَيْـدكم ! (تُصْلِحُ من الفِراش الذي في الحجرة ثُم تخْرج) .

عمر : قلْ لهم ادْخُلوا .

(يدخل عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعدٌ وسعيد بن زيد ، ثم عبدُ الرحمن بن عوف) .

الجماعة : السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين .

عمر : (مُتَعَجّباً) أميرَ المؤمنين ! ما بَدَا لَكم في هذا الاسْمِ ؟

عثمان : سَمِعْنا ذلك من أعرابي قَدِمَ المدينـة اليوم . سمعناه يقول لصاحبه : إن لم تُعْطِني حَقي فلأشْكُوَنّك إلى أمير المؤمنين .

علي : فقُلنا إنه قـدْ أَصابَ اسمَك . أنت الأميرُ ونحن المؤمنون .

عمر : صدقْتُم . هذا والله خيرٌ من خليفة رسول الله ، وإنه ليَصْلحُ أن يُقال لمن يأتي بعدي .

ابن عوف : فإنا سنَدْعُوك منذ اليوم يا أميرَ المؤمنين .

عمر : هَلُم يا ابنَ عَوف . لقد رأيتُك دخلْت آخر القوم، تتوارَى خجَلاً من قالَتِك التي قُلتها.

ابن عوف : يا أميرَ المؤمنين ما قلتُ إلا خيراً .

عمر : والله لأُخبِرنَّهم بها. إن هذا الغنيَّ الشحيحَ وعَدَ أن يُقرِضَني مائتي درهم، فلما أرسَلْتُ إليه غُلامي اليوم قال له: قلْ لمولاك يأخُذْها من بيت المال ثم ليردَّها .

ابن عوف : أجَلْ قد قُلْتُ ذلك يا قوم ، فأسالكم بالله هلْ في ذلك مِنْ بأس ؟

الجماعة : لا بأسَ يا أميرَ المؤمنين .

عمر : أتُظاهِرونه على شُحّه ؟ أآخُذها من بيت المالِ حتى إذا مِتُّ قبل أن تجيء قلْتم :

أخذَها أميرُ المؤمنين دَعُوها له . وأوخذُ أنا يوم القيامة ؟ لا واللهِ ، بلْ آخذُها من رجل شحيح مثل عبد الرحمن ، فإن مِتّ أخذَها من مِيراثي .

سعد : رويدَك يا أميرَ المؤمنين . نحن الذين أوعَزْنا إلى عبدِ الرحمن بن عوف أن يقول ما قال. إن هـذا الأمرَ قد شَغَلك عن تجارتك كما شغلَ أبا بكر قَبْلك ، فينْبغي أن تأخذَ من بيت المالِ كما فعلَ أبو بكر .

عمر : أفلِهذا حضرتُم اليوم عندي؟

الجماعة : نعم .

ابن عوف : (ضاحكاً) ولِنَدْعُوكَ يا أميرَ المؤمنين !

عمر : جزاكم اللهُ خيراً يا أصحابَ رسول الله . والله لقد هَمَمْت مِراراً أن أجْمَعكم فأفاتِحكم في هذا الأمرِ ، ولكني كنتُ أقولُ لِنفسي في كل مرة : لعل رِزْقاً يأتيك يا عمرُ

فتَسْتَغْني به عن ذلك .

الزبير : ونحن كُنّا نظن أنك تأخذ مِثْلَما يأخذ سَلَفُك أبو بكر، حتى نَبَّهنا عبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ.

عمر : لا واللهِ ، ما كنتُ لآخُذَ شيئاً من مالِ اللهِ دون رَأْيِكُم . فما تَرَوْن أنه يَصْلُحُ لي من هذا المال ؟

الجماعة : القولُ ما يقولُ عليُّ بن أبي طالب .

عمر : قل يا علي .

علي : ما يُصْلِحُك ويُصلِحُ عيالَك بالمعْرُوف، ليسَ لك من هذا المالِ غيرُه .

عمر : هذا حسنٌ ، وإني لا أطلبُ مَزيداً عليه . فليَكُنْ ذلك سُنّة لكل من يَلي هـذا الأمرَ بعدي . ولكنّي سأُنْزِلُ نفْسي من مال الله بمنزِلَة وَليِّ اليتيم ، إن استَغْنَيتُ استَعفَفْتُ، وإن افتقرتُ أخذتُ بالمعروف، فإذا أيْسَرتُ قضَيْتُ .

علي : لله أنت يا ابنَ الخطاب ، لَتُتْعِبنَّ واللهِ مَنْ بَعْدَك .

(يَدخُل أسلم)

عمر : ماذا وراءَكَ يا أسلم ؟

أسلم : رسولُ أبي عُبَيدَة من الشام .

عمر : أين هو ؟ أدْخِله . اللهم أسمِعْنا خيراً ! اللهم اجعَلْه بَشِيراً بالفتح !

(يخرجُ أسلم ، ثم يعودُ ومعه عُقْبة بن عامر الجُهَنِي)

عقبة : السلام عليك يا خليفةَ خليفة رسول الله .

الجماعة : بل قُلْ السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ، فهذا اسْمُه مُنْذُ اليوم .

عقبة : هـذا والله أفضلُ . السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلامُ ورحمةُ اللهِ . ماذا وراءك

يا أخا جُهَيْنة؟

عقبة : الخيرُ والفتحُ يا أمير المؤمنين. قد فتح اللهُ دمشق على المسلمين.

الجميع : الحمد لله على ما أنْعَم. الحمد لله الذي صدَقَ وعدَه، وأعزَّ جُندَه.

(يُسلّم عُقبةُ كتابين لعمر)

عمر : (يفتح أحدَهما فينظر فيه) ما هذا يا عُقْبةُ؟ هذا لأبي بكر رحمة اللهُ.

الجماعة : (في تعجب) لأبي بكرٍ؟

عمر : ومِنْ خالدٍ بن الوليد.

عقبة : افْتح الكتابَ الثاني، فهو مِنْ أبي عبيدة إليك.

(يَفُضُّ عمرُ الكتابَ الثاني، وينظرُ فيه والحاضرون يتطلّعُون إليه مُتعجّبين)

الجماعة : خيرٌ يا أميرَ المؤمنين ؟!

عمر : خير إن شاء الله (ينادي) يا أَسْلَمُ !

أسلم : لبّيك يا أمير المؤمنين. (يظهر)

عمر : انْطلِقْ إلى المسجد فمُرْهم فلْيُنادوا الصلاةَ جامعةً.

أسلم : سمعاً يا أمير المؤمنين. (يخرج مُنطلِقاً)

عمر : يا صَحابةَ رسول الله إني مُسْتفتِيكم، فأَفتُوني في مدينة حاصرها المسلمون مِن أبوابٍ متعددة، ثم فُتحتْ صُلْحاً من باب وعنوة من باب آخر في وقتٍ واحد: أنجعلُها جميعَها صلحاً أم نجعل بعضَها صلحاً وبعضها عنوة؟

طلحة : نجعل بعْضَها صُلحاً وبعْضَها عنوة.

سعد : بل نجعلها جميعها صلحاً.

الزبير : الرأي رأي طلحة.

ابن عوف : كلا.. بل الرأيُ رأيُ سعد فالصلحُ خيرٌ.

عثمان : أَجَلْ .. الصلح خير .

عمر : فما تقولُ يا علي ؟

علي : قال الله عز وجل لرسوله : وإن جَنَحُوا للسَّلم فاجْنَحْ لها وتَوَكَّلْ على الله .

عمر : الحمد لله الذي ألهم أبا عبيدة وجهَ الحقِّ .

أسلم : (يدخل) يا أمير المؤمنين، هذا الأشْعَثُ بن قيس يستأذِن عليك .

عمر : الأشعث بن قيس ؟ ألم تَقُلْ له إن أصحابَ رسول الله عندي ؟

أسلم : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : ائذن له .

(يخرج أسْلَم ، ويدخل الأشعثُ بن قيس)

عمر : ماذا جاء بك الساعةَ يا أخا كِنْدة؟

الأشعث : يا خليفة خليفة ...

الجماعة : بل قل يا أمير المؤمنين ، فهذا اسمُه منذ اليوم .

الأشعث : هذا واللهِ أفضلُ . يا أميرَ المؤمنين، ما كنت أحسب أنك تلقاني هكذا في بيتك .

عمر : وَيْلَك ! قد علمتَ أن عندي أصْحَابَ رسول الله . أفأردْتَ يا أَشْيَعِثَ كِنْدة أن تُوهم الناس بأني اتّخذتك من أهل الشُّورى، فأنت واحد منهم ؟

الأشعث : مَعَاذَ الله يا أمير المؤمنين أن أكونَ قصَدْتُ ذلك .

عمر : فهلاَّ جئتني وأنا خالٍ لك ؟

الأشعث : يا أمير المؤمنين إني قصدت أن ألقاك وهؤلاء معك ، لعلمي أنك ستحتاجُ إلى مَشُورتهم فيما أنا عارِضُه عليك .

عمر : وماذا أنت عارض : هاتِ .

الأشعث : إنك أخبرتنا يا أمير المؤمنين أولَ من أمس، أن أهلَ فارس قد اجتمع أمرُهم على بورانَ بنتِ كسْرَى ، وأنهـا أرسلتْ إلى بطلهم رُسْتمَ فأمّرته على الجند ، وأن أهل السّواد قد ثاروا بالمسلمين ،وأن المُثنّى قد انْسحَب من الحِيرَة واعتصم بخفّان لِئلاّ يُؤتى من خلفه، وأنه يستغيث.

عمر : أجل يا أشعث .

الأشعث : وقد مكثْتَ شهراً تَندُبَ الناس للمسير مع أبي عبيد إلى العراق ، فلم ينتدب منهم إلا قليلٌ .

عمر : (في اهتمام) صدقْتَ .

الأشعث : وأعلنْتَ في الآفاق أنك قد أذِنْتَ لأهل الرِدّة ان يَغْزُوا مع إخوانهم المسلمين .

عمر : أَجلْ .

الأشعث : هذا أفضلُ عملٍ قمتَ به يا أمير المؤمنين، وقد تباشرَت بـه العرب من زَرودَ إلى حَضْرَمَوْت . ولكنه لا يَتِمّ ولا يُحقّقُ ما تريد إلا بعملٍ آخر مُكمِّلٍ له .

عمر : وما ذاكَ يا أخا كِنْدة ؟

الأشعث : ان تعيـد سباياهم إليهم ،فإن ذلك سيُزيل المرارة التي في نفوسهم ،ويسْتَلُّ السخائمَ التي في صدورهم ، ولتجدنهم بعد ذلك أطوعَ لك من بَنانـك ، فأنت تعلم حرص العرب على أحْسَابها وأعْرَاضها .

عمر : (فرحاً) والله يا أشعث ما عدَوْتَ ما في نفسي ، ولقد سَنَح لي هـذا الرأي مُنذُ حين .

الأشعث : فنفذْه يا أمير المؤمنين إن شئت أن تَبْرَأ العربُ من أحقادها ، وتفرغَ لجهادها .

عمر : ما ترَوْن يا أصحابَ رسول الله فيما عَرَضه

الأشعثُ ؟

ابن عوف : إن السبايا موزّعةٌ في الناس، فكيف السبيل إلى رَدّها ؟

عمر : سأكتب بذلك إلى عمالي في الآفاق ، فمن شاء أن يترك سَبْيه لله فعل ، ومن شاء الفِدْية أخذها بالمعروف .

طلحة : يا أميرَ المؤمنين ، أليس شأنُ هؤلاءِ شأنَ غيرِهم من السبْي ؟

عمر : لا يا أبا محمدٍ ، هؤلاءِ عربٌ . وإني لأَكْرَهُ أن يكون السبْي سُنّةً في العرب .

عثمان : يا أمير المؤمنين ، إن دينَنا لا يُفرّق بين العرب وغير العرب .

عمر : هذا حقٌّ ، ولكن اللهَ قد اختار العربَ لِتبليغ هذه الرسالة إلى سائر الأمم ، فحَري أن يكونَ مبلغوها أحراراً أعزة لا يَضرِبُ

في عروقهم رقٌّ ، ولا يَسِمُ أنوفَهم سبْيٌ !

علي : قد هُديتَ يا أمير المؤمنين ، فلا تَكُن في ريْب ، فإنما تُحرِّر رقاباً ، والله يدعُو إلى تحْرير الرقاب .

الأشعث : هل لي يا أمير المؤمنين أن أُعلن ذلك لأصحابي .

عمر : بل انتظر حتى أُعلنَه أنا للناس من مِنْبَرِ رسول الله ﷺ .

(يُسمع صوتُ المنادي وهو يردد)

الصوت : الصلاةَ جامعةً ! الصلاة جامعة ! الصلاة جامعة !

(ينهض الجماعة قائمين)

عمر : (يُتمتم) ليتَ شِعري ماذا فعل المُثَنّى في العراق ؟

علي : سَيِّرْ جيش أبي عبيدٍ يا أمير المؤمنين ، فما ينْبغِي أن تُؤَخره . فإن جاء أحدٌ بعد ذلك

فلْيَلْحق به .

عمر : صدقت يا أبا الحسن . إني مُسَيِّرُه غـــداً إن شاء الله . اللهم انصرنا في العراق كما نصرْتَنا في الشام.

ستـــار

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠

٦٩/٣٥٠٠/١٨٩٥